

يَوْمِمْ فِي

بَيْتِ الرَّسُولِ

عَبْدُ اللَّهِ الْقَاسِمِ

مصدر هذه المادة:

الكتيبة الإسلامية
www.ktibat.com



شَاءَ اللهُ سَمِعْنَا

الفهرس

أ	الفهرس
١	المقدمة
٣	الزيارة
٥	الرحلة
٨	صفة الرسول ﷺ
٩	كلام الرسول ﷺ
١٠	داخل البيت
١٢	الأقارب
١٥	الرسول ﷺ في بيته
١٧	هديه وسمته ﷺ
٢٠	بنات هـ ﷺ
٢٣	معاملة الزوجة
٢٧	تعدد الزوجات

- ٣٠ مزاح رسول الله ﷺ
- ٣٢ نوم النبي ﷺ
- ٣٤ قيام الليل
- ٣٥ بعد الفجر
- ٣٦ صلاة الضحى
- ٣٦ صلاة النوافل في البيت
- ٣٧ بكاء النبي ﷺ
- ٣٨ تواضعه ﷺ
- ٤١ خادمه ﷺ
- ٤٣ الهدية والضيف
- ٤٦ الرحمة بالأطفال
- ٤٩ الحلم والرفق والصبر
- ٥٤ طعامه ﷺ
- ٥٨ الذب عن أعراض الآخرين
- ٦٠ كثرة ذكر الله تعالى
- ٦١ الجار

-
-
- ٦٢ حسن المعاشرة
- ٦٢ أداء الحقوق
- ٦٣ شجاعته وصبره ﷺ
- ٦٧ دعائه ﷺ
- ٦٨ نهاية الزيارة
- ٧٠ الوداع

المقدمة

الحمد لله الذي بعث رسوله بالهدى ودين الحق، والصلاة والسلام على إمام المرسلين المبعوث رحمة للعالمين، نبينا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فإن غالب الناس في هذا الزمن بين غالٍ وجافٍ، فمنهم من غلا في الرسول ﷺ حتى وصل به الأمر إلى الشرك -والعياذ بالله- من دعا الرسول ﷺ والاستغاثة به، وفيهم من غفل عن اتباع هديه ﷺ وسيرته فلم يتخذها نبراسًا لحياته ومعلمًا لطريقه. ورغبة في تقريب سيرته ودقائق حياته إلى عامة الناس بأسلوب سهل ميسر كانت هذه الورقات القليلة التي لا تفي بكل ذلك. لكنها وقفات ومقتطفات من صفات النبي ﷺ وشمائله، ولم أستقصها، بل اقتصرت على ما أراه قد تفلت من حياة الناس، مكثفًا عند كل خصلة ومنقبة بحدِيثين أو ثلاثة، فقد كانت حياته ﷺ حياة أمة وقيام دعوة ومنهاج حياة.. وهو عليه الصلاة والسلام أمة في الطاعة والعبادة، وكرم الخلق وحسن المعاملة، وشرف المقام، ويكفي ثناء الله ﷻ عليه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

وأهل السنة والجماعة ينزلون الرسول ﷺ منزلته التي أنزله الله إياها، فهو عبد الله ورسوله وخليله وصفيه، يحبونه أكثر من أولادهم وآبائهم بل أكثر من أنفسهم لكنهم لا يغفلون فيه ولا يطرونه وحسبه تلك المنزلة.

ونحن على هذا الأمر سائرون فلا نبتدع الموالد ولا نقيم الاحتفالات، بل

نحبه كما أمر ونطيعه فيما أمر، ونجتنب ما نهى عنه وزجر.

فمبلغ العلم فيه أنه بشر

وأنه خير خلق الله كلهم

أغر عليه للنبوة خاتم

من نور يلوح ويشهد

وضم إليه اسم النبي إلى اسمه

إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وشق له من اسمه ليجله

فدو العرش محمود وهذا أحمد

وإن فاتنا في هذه الدنيا رؤية الحبيب ﷺ وتباعدت بيننا الأيام.. فأدعو الله ﷻ أن نكون ممن قال فيهم الرسول ﷺ: «وددت أنا قد رأينا إخواننا» قالوا: ألسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد» فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: «أرأيت لو أن رجلاً له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «فإنهم يأتون غرًا محجلين من الضوء، وأنا فرطهم على الحوض...»^(١).

أدعو الله ﷻ أن يجعلنا ممن يتلمس أثره ﷺ ويقتفي سيرته وينهل من سنته كما أدعو الله ﷻ أن يجمعنا معه في جنات عدن، وأن يجزيه الجزاء الأوفى جزاء ما قدم. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن القاسم

الزيارة

سنعود قروناً خلت ونقلب صفحات مضت، نقرأ فيها ونأمل سطورها، ونقوم بزيارة لرسول الله ﷺ في بيته عبر الحروف والكلمات.. سندخل بيته ونرى حاله وواقعه ونسمع حديثه، نعيش في البيت النبوي يوماً واحداً فحسب، نستلهم الدروس والعبر ونستنير بالقول والفعل.

لقد تفتحت معارف الناس وكثرت قراءتهم وأخذوا يزورون الشرق والغرب عبر الكتب والرسائل وعبر الأفلام والوثائق، ونحن أحق منهم بزيارة شرعية لبيت الرسول ﷺ نطل على واقعه جادين في تطبيق ما نراه ونعرفه، ولضيق المقام نخرج على مواقف معينة في بيته، علنا نربي أنفسنا ونطبق ذلك في بيوتنا.

أخي المسلم:

نحن لا نعود سنوات مضت وقروناً خلت لنستمتع بما غاب عن أعيننا ونرى حال من سبقنا فحسب، بل نحن نتعبد لله ﷻ بقراءة سيرته ﷺ واتباع سنته والسير على نهجه وطريقه، امتثالاً لأمر الله ﷻ لنا بوجوب محبة رسوله الكريم، ومن أهم علامات محبته ﷺ طاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر.

يقول الله ﷻ عن وجوب طاعته وامتثال أمره ﷺ وجعله إماماً وقادة: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ

عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢).

وقد ذكر الله طاعة الرسول واتباعه في نحو من أربعين موضعاً في القرآن (٣) ولا سعادة للعباد، ولا نجاة في المعاد إلا باتباع رسوله، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

وجعل الرسول ﷺ حبه من أسباب الحصول على حلاوة الإيمان فقال عليه الصلاة والسلام: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما...» (٤).

وقال عليه الصلاة والسلام: «فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده» (٥).

وسيرة الرسول ﷺ سيرة عطرة زكية منها نتعلم وعلى هديها نسير.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٤/١.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه مسلم.

الرحلة

الرحلة إلى حيث بيت الرسول ﷺ ورؤية دقائق حياته وأسلوب معاملته أمر مشوق للغاية كيف إذا احتسبنا فيه الأجر والمثوبة. إنها عظة وعبرة، وسيرة وقدوة، واتباع واقتداء، وهذه الرحلة رحلة بين الكتب ورواية على ألسنة الصحابة، وإلا فلا يجوز شد الرحال إلى قبر ولا بيت الرسول ﷺ ولا إلى غيره، سوى لثلاثة مساجد ذكرها الرسول ﷺ بقوله: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»^(١).

ويجب أن نتمثل أمر الرسول ﷺ فلا نشد الرحال إلا لهذه المساجد الثلاثة والله ﷻ يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾. ونحن لا نتبع آثار النبي ﷺ، قال ابن وضاح: «أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقطع الشجرة التي ببيع تحتها النبي ﷺ فقطعها لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها، فخاف عليهم الفتنة»^(٢).

وقال ابن تيمية رحمه الله عن غار حراء: وكان النبي ﷺ قبل النبوة يتحنث فيه، وفيه نزل عليه الوحي أولاً، لكن من حين نزل عليه الوحي ما صعد إليه بعد ذلك، ولا قربه، لا هو ولا أصحابه، وقد أقام بمكة بعد النبوة بضع عشرة سنة لم يزره ولم يصعد إليه، وكذلك المؤمنون معه بمكة، وبعد الهجرة أتى مكة مراراً

(١) متفق عليه.

(٢) القصة في البخاري ومسلم.

في عمرة الحديبية، وعام الفتح، وأقام بها قريباً من عشرين يوماً وفي عمرة الجعرانة، ولم يأت غار حراء ولا زاره..»^(١).

ها نحن نطل على المدينة النبوية وهذا أكبر معالمها البارزة بدأ يظهر أمامنا، إنه جبل أحد الذي قال عنه الرسول ﷺ: «هذا جبل يحبنا ونحبه»^(٢).

وقبل أن نلج بيت الرسول ﷺ ونرى بناءه وهيكله، لا نتعجب إن رأينا المسكن الصغير والفرش المتواضع فإن الرسول ﷺ أزهّد الناس في الدنيا وكان متقللاً منها، لا ينظر إلى زخارفها وأموالها: «بل جعلت قرّة عينه في الصلاة»^(٣).

وقد قال ﷺ عن الدنيا: «مالي وللدنيا، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف، فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار، ثم راح وتركها»^(٤).

وقد أقبلنا على بيت الرسول ﷺ ونحن نستحث الخطى سائرين في طرق المدينة، هاهي قد بدت حجر أزواج رسول الله ﷺ مبنية من جريد عليه طين، بعضها من حجارة مرضومة^(٥) وسقوفها كلها من جريد.

وكان الحسن يقول: كنت أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان بن عفان فأتناول سقفها بيدي^(٦).

إنه بيت متواضع وحجر صغيرة لكنها عامرة بالإيمان والطاعة وبالوحي والرسالة!

(١) مجموع الفتاوى ٢٧/٢٥١.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه النسائي.

(٤) رواه الترمذي.

(٥) مرضومة: أي بعضها فوق بعض.

(٦) الطبقات الكبرى لابن سعد ١/٤٩٩، ٥٠١، وانظر السيرة النبوية لابن كثير ٢/٢٧٤.

صفة الرسول ﷺ

ونحن نقترّب من بيت النبوة ونطرق بابه استئذاناً.. لندع الخيال يسير مع من رأى النبي ﷺ يصفه لنا كأننا نراه، لكي نتعرف على طلعته الشريفة ومحياه باسم.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ أحسن الناس وجهًا، وأحسنهم خلقًا، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير»^(١).

وعنه رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ مربوعًا بعيد ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنيه، رأيته في حلة حمراء لم أر شيئًا قط أحسن منه»^(٢).

وعن أبي إسحاق السبيعي قال: «سأل رجل البراء بن عازب: أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ قال: لا بل مثل القمر»^(٣).

وعن أنس رضي الله عنه قال: «ما مسست بيدي ديباجًا ولا حريرًا، ولا شيئًا ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت رائحة أطيّب من ريح رسول الله ﷺ»^(٤).

ومن صفاته عليه الصلاة والسلام الحياء حتى قال عنه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «كان ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئًا يكرهه عرفناه في وجهه»^(٥).

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه البخاري.

إنها صفات موجزة في وصف خلقه الرسول ﷺ وخلقه وقد أكمل له الله ﷻ الخلق والخلق بأبي هو وأمي ﷺ.

كلام الرسول ﷺ

أما وقد رأينا الرسول ﷺ وبعض صفاته، لنرا حديثه وكلامه، وما هي صفته وكيف هي طريقته لنستمع قبل أن يتحدث عليه الصلاة والسلام. عن عائشة رضي عنها قالت: «ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بين، فصل، يحفظه من جلس إليه»^(١).

وكان هيناً ليناً يجب أن يفهم كلمه، ومن حرصه على أمته كان يراعي الفوارق بين الناس، ودرجات فهمهم واستيعابهم، وهذا يستوجب أن يكون حليماً صبوراً.

عن عائشة رضي عنها قالت: «كان كلام رسول الله ﷺ كلاماً فصلاً يفهمه كل من يسمعه»^(٢).

وتأمل رفق الرسول وسعة صدره ورحابته وهو يعيد كلامه ليفهم.

عن أنس بن مالك رضي عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يعيد الكلمة ثلاثاً لتعقل عنه»^(٣).

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه البخاري.

وكان ﷺ يلاطف الناس ويهدئ من روعهم، فالبعض تأخذه المهابة والخوف.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل فكلمه فجعل يردد فرائضه فقال له ﷺ: «هون عليك فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد»^(١).

داخل البيت

أذن لنا واستقر بنا المقام في وسط بيت نبي هذه الأمة عليه الصلاة والسلام، لنجمل النظر وينقل لنا الصحابة واقع هذا البيت من فرش وأثاث وأدوات وغيرها.

ونحن نعلم أن لا ينبغي إطلاق النظر في الحجر والدور، ولكن للتأسي والقدوة نرى بعضاً مما في هذا البيت الشريف، إنه بيت أساسه التواضع ورأس ماله الإيمان، ألا ترى أن جدرانه تخلو من صور ذوات الأرواح التي يعلقها كثير من الناس اليوم؟ فقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تصاوير»^(٢)، ثم أطلق بصرك لترى بعضاً مما كان الرسول ﷺ يستعمله في حياته اليومية.

(١) رواه ابن ماجه.

(٢) رواه البخاري.

عن ثابت قال: أخرج إلينا أنس بن مالك قدح خشب، غليظاً مضبباً بحديد^(١) فقال: يا ثابت هذا قدح رسول الله ﷺ^(٢).
 وكان ﷺ يشرب فيه الماء والنبيد^(٣) والعسل واللبن^(٤).
 وعن أنس رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ كان يتنفس في الشراب ثلاثاً»^(٥). يعني:
 يتنفس خارج الإناء.

ونهى عليه الصلاة والسلام «أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه»^(٦).
 أما ذلك الدرع الذي كان يلبسه رسول الله ﷺ في جهاده، وفي معاركه الحربية وأيام البأس والشدة، فلربما أنه غير موجود الآن في المنزل، فقد رهنه الرسول ﷺ عند يهودي في ثلاثين صاعاً من شعير اقترضها منه كما قالت ذلك عائشة^(٧) ومات الرسول ﷺ والدرع عند اليهودي.
 ولم يكن ﷺ ليفجأ أهله بغتة يتخونهم، ولكن كان يدخل على أهله على علم منهم بدخوله، وكان يسلم عليهم^(٨).

(١) مضبباً بحديد: أي مشدوداً بضباب من حديد لكي لا يتفرق الخشب.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) قال الحافظ في الفتح: المراد بالنبيد المذكور: تمرات نبذت في ماء، أي: نقتت فيه، كانوا يفعلون ذلك لاستعذاب الماء.

(٤) رواه الترمذي.

(٥) متفق عليه.

(٦) رواه الترمذي.

(٧) متفق عليه.

(٨) زاد المعاد ٢/٣٨١.

وتأمل بعين فاحصة وقلب واع حديث الرسول ﷺ: «طوبى لمن هدى إلى الإسلام، وكان عيشه كفافاً وقنع»^(١)، وألقى بسمعك نحو الحديث الآخر العظيم «من أصبح آمناً في سربه^(٢) معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»^(٣).

الأقارب

لنبي الأمة ﷺ من الوفاء في صلة الرحم ما لا يفي عنه الحديث؛ فهو أكمل البشر وأتمهم في ذلك، حتى مدحه كفار قريش وأثنوا عليه ووصفوه بالصادق الأمين قبل بعثته عليه الصلاة والسلام، ووصفته خديجة عليها السلام بقولها: «إنك لتصل الرحم وتصدق...» الحديث.

هاهو عليه الصلاة والسلام يقوم بحق من أعظم الحقوق وبواجب من أعلى الواجبات، إنه يزور أمه التي ماتت عنه وهو ابن سبع سنين.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: زار النبي ﷺ قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله فقال: «استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور، فإنها تذكركم الموت»^(٤).

(١) رواه الترمذي.

(٢) سربه: أي نفسه، وقيل: قومه.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) رواه مسلم.

وتأمل محبته عليه الصلاة والسلام لقربته وحرصه على دعوتهم وهدايتهم وإنقاذهم من النار.. وتحمل المشاق والمصاعب في سبيل ذلك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١)، دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا فعمَّ وخصَّ، وقال: «يا بني عبد شمس، يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها»^(٢)»^(٣).

وها هو الحبيب ﷺ لم يمل ولم يكل من دعوة عمه أبي طالب فعاود دعوته المرة بعد الأخرى، حتى إنه أتى إليه وهو في سياق الموت: «لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال: «أي عم، قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله ﻋﻠﯿﻚ»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ قال: فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به، على ملة عبد المطلب».

فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

(٢) أي: أصلكم في الدنيا ولا أغني عنكم من الله شيئاً.

(٣) رواه مسلم.

لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١﴾ قال: ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾.

لقد دعاه الرسول ﷺ في حياته مرات ومرات، وفي اللحظات الأخيرة عند موته، ثم أتبعه الاستغفار له براءً به ورحمة حتى نزلت الآية، فسمع وأطاع عليه الصلاة والسلام وتوقف عن الدعاء للمشركين من قراباته، وهذه صورة عظيمة من صور الرحمة للأمم ثم هي في النهاية صورة من صور الولاء لهذا الدين والبراء من الكفار والمشركين حتى وإن كانوا قرابة وذوى رحم.

نبي أتنا بعد يأس وفـترة

من الرسل، والأوثان في الأرض تعبد

فأمسى سراجاً مستنيراً وهادياً

يلوح كما لاح الصقيل المهند

وأنذرنا ناراً وبشر جنّة

وعلمنا الإسلام فلله نحمد

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٣.

(٢) سورة القصص، الآية: ٥٦.

(٣) رواه أحمد والبخاري ومسلم.

الرسول ﷺ في بيته

بيت الإنسان هو محكه الحقيقي الذي يبين حسن خلقه، وكمال أدبه، وطيب معشره، وصفاء معدنه، فهو خلف الغرف والجدران لا يراه أحد من البشر وهو مع مملوكه أو خادمه أو زوجته يتصرف على السجية وفي تواضع جم دون تصنع ولا مجاملات مع أنه السيد الأمر الناهي في هذا البيت وكل من تحت يده ضعفاء، لتأمل في حال رسول هذه الأمة وقائدها ومعلمها ﷺ كيف هو في بيته مع هذه المنزلة العظيمة والدرجة الرفيعة! «قيل لعائشة: ماذا كان يعمل رسول الله ﷺ في بيته؟ قالت: كان بشرًا من البشر: يفلي ثوبه ويحلب شاته، ويخدم نفسه»^(١).

إنه نموذج للتواضع وعدم الكبر وتكليف الغير، إنه شريف المشاركة ونبيل الإعانة، وصفوة ولد آدم يقوم بكل ذلك، وهو في هذا البيت المبارك الذي شع منه نور هذا الدين لا يجد ما يملأ بطنه عليه الصلاة والسلام.

قال: النعمان بن بشير رضي الله عنه وهو يذكر حال النبي عليه أتم الصلاة وأزكى التسليم: «لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدقل»^(٢) ما يملأ بطنه»^(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن كنا آل محمد نمكث شهرًا ما نستوقد بنار

(١) رواه أحمد والترمذي.

(٢) الدقل: رديء التمر.

(٣) رواه مسلم.

إن هو إلا التمر والماء»^(١).

ولم يكن هناك ما يشغل النبي ﷺ عن العبادة والطاعة.. فإذا سمع حي على الصلاة حي على الفلاح لبي النداء مسرعاً وترك الدنيا خلفه.

عن الأسود بن يزيد قال: سألت عائشة رضي الله عنها، ما كان النبي ﷺ يصنع في البيت؟ قالت: «كان يكون في مهن أهله، فإذا سمع بالأذان خرج»^(٢).

ولم يؤثر عنه ﷺ أنه صلى الفريضة في منزله ألبتة، إلا عندما مرض واشتدت عليه وطأة الحمى، وصعب عليه الخروج وذلك في مرض موته رضي الله عنه.

ومع رحمته لأمته وشفقته عليهم إلا أنه أغلظ على من ترك الصلاة مع الجماعة فقال رضي الله عنه: «لقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام ثم أمر رجلاً أن يصلي بالناس ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم»^(٣).

وما ذاك إلا من أهمية الصلاة في الجماعة وعظم أمرها. قال رضي الله عنه: «من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له إلا من عذر»^(٤)، والعذر خوف أو مرض.

فأين المصلون اليوم؟ بجوار زوجاتهم وقد تركوا المساجد!!! أين عذر المرض أو الخوف!!!

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه ابن ماجه وابن حبان.

هدية وسمته ﷺ

حركة الإنسان وسكنته علامة على عقله ومفتاح لمعرفة قلبه.

وعائشة أم المؤمنين ابنة الصديق رضي الله عنه خير من يعرف خلق النبي ﷺ، وأدق من يصف حاله عليه الصلاة والسلام فهي القريبة منه في النوم واليقظة والمرض والصحة، والغضب والرضا.

تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، ولا صخاباً في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح»^(١).

وهذا خلق نبي الأمة الرحمة المهداة والنعمة المسداة عليه الصلاة والسلام يصف لنا سبطه الحسين رضي الله عنه بعضاً من هديه ﷺ حيث قال: سألت أبي عن سير النبي ﷺ في جلسائه، فقال: «كان النبي ﷺ دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ غليظ ولا صخاب، ولا عياب، ولا مشاح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يؤيس منه راجيه، ولا يخيب فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: الرياء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يعيبه، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، وإذا تكلم أطرق جلساؤه، كأنما على رءوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ حديثهم عنده حديث أولهم،

(١) رواه أحمد.

يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقته ومسألته حتى إن كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: «إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فأرشدوه»^(١)، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام»^(٢).

تأمل في سجايا وخصال نبي هذه الأمة واحدة تلو الأخرى.. وأمسك منها بطرف وجاهد نفسك للأخذ منها بسهم فإنها جماع الخير!

وكان من هديه ﷺ تعليم جلسائه أمور دينهم.. ومن ذلك أنه ﷺ قال: «من مات وهو يدعو من دون الله ندًا دخل النار»^(٣).

ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»^(٤).

وقوله ﷺ: «بشروا المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»^(٥).

وقوله عليه الصلاة والسلام: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»^(٦).

وعنه ﷺ: أنه قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى

(١) أي: أعينوه.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه البخاري.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه الترمذي وأبو داود.

(٦) رواه أبو داود.

النار أبعد مما بين المشرق والمغرب»^(١).

وقال ﷺ: «إني لم أبعث لعائناً، وإنما بعثت رحمة»^(٢).

وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم»^(٣). والإطراء: هو مجاوزة الحد في المدح.

وعن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لا اتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك»^(٤).

وعلى هذا فلا تجوز الصلاة في المساجد التي فيها قبر أو قبور.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم.

بناته ﷺ

كانت ولادة الأنتى في الجاهلية يومًا أسود في حياة الوالدين، بل وفي حياة الأسرة والقبيلة، وسار الحل بهذا المجتمع إلى وأد البنات وهن أحياء خوف العار والفضيحة، وكان الوأد يتم في صور بشعة، قاسية ليس فيها للرحمة موطن ولا للمحبة مكان، فكانت البنت تدفن حية، وكانوا يتفننون في تلك الجريمة فمنهم من إذا ولدت له بنت تركها حتى تكون في السادسة من عمرها، ثم يقول لأُمها: طيبها وزينها حتى أذهب بها إلى أحماؤها، وقد حفر لها بئرًا في الصحراء فيبلغ بها البئر، فيقول لها: انظري فيها، ثم يدفعها دفنًا ويهيل عليها التراب بوحشية وقسوة.

وفي وسط هذا المجتمع الجاهلي خرج الرسول ﷺ بهذا الدين العظيم الذي أكرم المرأة أمًا وزوجة وبنًا وأختًا وعمة، وقد حظيت البنات بحب رسول الله ﷺ فقد كان إذا دخلت عليه فاطمة ابنته قام إليها فأخذ بيدها فقبلها وأجلسها مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبلته وأجلسته في مجلسها^(١).

ومع محبة النبي عليه الصلاة والسلام لبناته وإكرامه لهن إلا أنه رضي بطلاق ابنتيه أم كلثوم ورقية صابرا محتسبًا من عتبة وعتيبة ابني أبي لهب بعد أن أنزل الله فيه ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، وأبي ﷺ أن يترك أمر الدعوة أو أن

(١) رواه أبو داود والترمذي والنسائي.

يتراجع فإن قريباً هددت وتوعدت حتى طلقت بنتي الرسول عليه الصلاة والسلام وهو ثابت صابر لا يتزعزع عن الدعوة لهذا الدين.

ومن صور الترحيب والبشاشة لابنته ما روته عائشة رضي الله عنها حيث قالت: كن أزواج النبي ﷺ عنده، فأقبلت فاطمة رضي الله عنها تمشي ما تخطيء مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئاً فلما رآها رحب بها وقال: «مرحباً بابنتي» ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله^(١).

ومن عطفه ومحبه لبناته زيارتهن ونفقد أحوالهن وحل مشاكلهن.. أتت فاطمة رضي الله عنها النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى في يديها من الرحي وتساله خادماً، فلم تجده، فذكرت ذلك لعائشة رضي الله عنها فلما جاء الرسول ﷺ أخبرته قال علي رضي الله عنه: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم، فقال: «مكانكما» فجاء فقعده بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، فقال: «ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم؟ إذا أويتما إلى فراشكما، أو أخذتما مضاجعكما، فكبرا أربعاً وثلاثين وسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمداً ثلاثاً وثلاثين فهذا خير لكما من خادم»^(٢).

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في صبره وعدم جزعه فقد توفي جميع أبنائه وبناته في حياته - عدا فاطمة رضي الله عنها - ومع هذا فلم يلطم خدًا ولم يشق ثوبًا ولم يقم المآدب وسراذق التعزية، بل كان عليه الصلاة والسلام صابراً محتسباً راضياً بقضاء الله وقدره.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

وقد عهد إلينا بوصية عظيمة وأحاديث جلييلة هي سلوة للمحزون وتنفيس للمكروب، منها قوله ﷺ: «إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرنى في مصيبتى واخلف لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها»^(١). وقد جعل الله ﷻ كلمات الاسترجاع وهي قول المصاب: «إنا لله وإنا إليه راجعون» ملاذاً وملجأً لذوي المصائب، واجزل المثوبة للصابرين وبشرهم بثواب من عنده تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَوِّقِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

(١) رواه مسلم.

معاملة الزوجة

في دوحه الأسرة الصغيرة تبقى الزوجة مربوط الفرس وجذع النخلة والسكن والقرب.

يقول الرسول ﷺ: «الدنيا كلها متاع، وخير متاع الدنيا الزوجة الصالحة»^(١).

ومن حسن خلقه وطيب معشره عليه الصلاة والسلام، نجده ينادي أم المؤمنين بترخيم اسمها ويخبرها خبراً طير له القلوب والأفئدة!

قالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ يوماً: «يا عائش! هذا جبريل يقرئك السلام»^(٢).

بل هذا نبي الأمة ﷺ وأكملها خلقاً وأعظمها منزلة، يضرب صوراً رائعة في حسن العشرة ولين الجانب ومعرفة الرغبات العاطفية والنفسية لزوجته، وينزلها المنزلة التي تحبها كل أنثى وامرأة لكي تكون محظية عند زوجها!

قالت عائشة رضي الله عنها: «كنت أشرب وأنا حائض، فأناوله النبي ﷺ، فيضع فاه على موضع في فيشرب، وأتعرق العرق^(٣) فيتناوله ويضع فاه على موضع

(١) صحيح الجامع الصغير.

(٢) متفق عليه.

(٣) أي أخذ ما على العظم من اللحم.

في»^(١).

ولم يكن ﷺ كما زعم المنافقون واتهمه المستشرقون بتهم زائفة وادعاءات باطلة.. بل ها هو يتلمس أجمل طرق العشر الزوجية وأسهلها.

عن عائشة رضي الله عنها: «إن النبي ﷺ قبل امرأة من نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ»^(٢).

والرسول ﷺ في مواطن عدة يوضح بجلاء مكانة المرأة السامية لديه وأن لها المكانة العظيمة والمنزلة الرفيعة، ها هو ﷺ يجيب على سؤال عمرو بن العاص رضي الله عنه ويعلمه أن محبة الزوجة لا تحجل الرجل الناضج السوي القويم.

عن عمرو بن العاص أنه قال لرسول الله ﷺ: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة»^(٣).

ولمن أراد بعث السعادة الزوجية في حياته عليه أن يتأمل حديث أم المؤمنين رضي الله عنها وكيف كان عليه الصلاة والسلام يفعل معها.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد»^(٤).
ونبي هذه الأمة ﷺ لا يترك مناسبة إلا استفاد منها لإدخال السرور على زوجته وإسعادها بكل أمر مباح.

تقول عائشة رضي الله عنها: خرجت مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وأنا جارية

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أبو داود والترمذي.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه البخاري.

لم أحمل اللحم ولم أأبدن، فقال للناس: «تقدموا» فتقدموا ثم قال: «تعالى حتى **أسابقك**» فسابقته فسبقته، فسكت عني حتى حملت اللحم، وبدنت وسمنت وخرجت معه في بعض أسفاره فقال للناس «تقدموا» ثم قال: «تعالى **أسابقك**» فسبقتني، فجعل يضحك ويقول: «**هذه بتلك**»^(١).

إنها مداعبة لطيفة واهتمام بالغ، يأمر القوم أن يتقدموا لكي يسابق زوجته، ويدخل السرور على قلبها، ثم ها هو يجمع لها دعابة ماضية وأخرى حاضرة، ويقول: «**هذه بتلك**»!

ومن ضرب في أرض الله الواسعة اليوم وتأمل حال عليّة القوم ليعجب من فعله ﷺ وهو نبي كريم وقائد مظفر وسليل قريش وبني هاشم، في يوم من أيام النصر قافلاً عائداً منتصراً يقود جيشاً عظيماً، ومع هذا فهو الرجل الودود اللين الجانب مع زوجاته أمهات المؤمنين، لم تنسه قيادة الجيش ولا طول الطريق ولا الانتصار في المعركة أن معه زوجات ضعيفات يحتجن منه إلى لمسة حانية وهمسة صادقة تمسح مشقة الطريق وتزيل تعب السفر!

روى البخاري أنه ﷺ لما رجع من غزوة خيبر وتزوج صفية بنت حيي رضي الله عنها كان يدير كساء حول البعير الذي تركبه يسترها به، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته فتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب.

كان هذا المشهد مؤثراً يدل على تواضعه ﷺ، لقد كان ﷺ وهو القائد المنتصر والنبي المرسل يعلم أمته أنه لا ينقص من قدره ومن مكانته أن يوطئ أكنافه لأهله وأن يتواضع لزوجته، وأن يعينها ويسعددها.

ومن وصاياه عليه الصلاة والسلام لأُمَّته: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً»^(١).

(١) رواه مسلم.

تعدد الزوجات

تزوج رسول الله ﷺ إحدى عشرة امرأة، تدرن باسم أمهات المؤمنين، ومات عن تسع نساء وياله من شرف عظيم ومنزلة رفيعة حظيت بها تلك النساء الكريمات، ولقد تزوج الرسول ﷺ المرأة الكبيرة، والأرملة والمطلقة والضعيفة، ولم يكن بين تلك الزوجات بكراً إلا عائشة رضي الله عنها.

تزوج الرسول ﷺ أمهات المؤمنين وجمع بينهن فكان مثلاً في العدل والقسمة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، وكان يقسم لكل امرأة منهن يوماً وليلتها»^(١).

ومن صور العدل ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه:

«كان للنبي ﷺ تسع نسوة، فكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلا في تسع فكن يجتمعن كل ليلة في بيت التي يأتيها، فكان في بيت عائشة فجاءت زينب فمد يده إليها فقالت عائشة: هذه زينب، فكف النبي ﷺ يده»^(٢).

وهذا البيت النبوي العظيم لم يكن كذلك لولا ما كان لرسول الله ﷺ من توفيق ربه وإلهامه إياه.

وها هو ﷺ يشكر ربه قولاً وفعلاً كان ﷺ يحث نساءه على العبادة ويعينهن

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه مسلم.

على ذلك امتثالاً لأمر الله ﷻ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسَأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾^(١).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يصلي وأنا راقدة معترضة على فراشه فإذا أراد أن يوتر أيقظني»^(٢).

وقد حث النبي ﷺ على أمر قيام الليل وإعانة الزوج والزوجة لبعضهما حتى تأخذ منحي جميلاً في نضح الماء من الزوج أو الزوجة لا فرق. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى فإن أبي نضحت في وجهه الماء»^(٣).

ومن كمال كمال المسلم والتزامه بدينه، اعتناؤه بمظهره الخارجي إتماماً لصفاء داخله ونقاؤه.

كان عليه الصلاة والسلام طاهر القلب نظيف البدن طيب الرائحة يجب السواك ويأمر به قال رضي الله عنه: «لو لا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»^(٤).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من النوم يشوص^(٥)، فاه

(١) سورة طه ١٣٢.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه أحمد.

(٥) رواه مسلم.

بالسواك^(١).

وعن شريح بن هاني قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: بأي شيء كان يبدأ النبي ﷺ إذا دخل بيته؟ قالت: بالسواك^(٢).

فما أجملها من نظافة واستعداد لاستقبال أهل البيت!

وكان ﷺ يقول عند دخول المنزل: «بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا، وعلى ربنا توكلنا، ثم يسلم على أهله»^(٣).

وليهنأ أهل بيتك بالدخول بالنظافة والبدء بالسلام، ولا تكن أخي المسلم ممن استبدل هذا بالعتاب واللوم والتفريع.

(١) الشوص: الدلك.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

مزاح رسول الله ﷺ

النبي القائد ﷺ مهموم بأمر أمته، وبجيوشه، وقواده، وبأهل بيته، وبالوحي تارة وبالعبادة أخرى، وهناك هموم أخرى، إنها أعمال عظيمة تجعل أي رجل عاجزًا عن الوفاء بمتطلبات الحياة وبث الروح فيها، ولكنه عليه الصلاة والسلام أعطى كل ذي حق حقه فلم يقصر في حق على حساب آخر وفي جانب دون غيره، فهو ﷺ مع كثرة أعبائه وأعماله جعل للصغار في قلبه مكانًا، فقد كان عليه الصلاة والسلام يداعب الصغار ويمازحهم ويتقرب إلى قلوبهم ويدخل السرور على نفوسهم كما يمازح الكبار أحيانًا.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله: إنك تداعبنا^(١)، قال: «نعم. غير أني لا أقول إلا حقًا»^(٢).

ومن مزاحه رضي الله عنه ما رواه أنس بن مالك قال: «إن النبي ﷺ قال له: يا ذا الأذنين»^(٣).

وعن أنس رضي الله عنه قال: «كان ابن لأم سليم يقال له أبو عمير كان النبي ﷺ ربما مازحه إذا جاء فدخل يومًا يمازحه، فوجده حزينا، فقال: «مالي أرى أبا عمير حزينا» فقالوا: يا رسول الله مات نغره الذي كان يلعب به، فجعل

(١) تداعبنا: يعني تمازحنا.

(٢) رواه أحمد.

(٣) رواه أبو داود.

يناديه: «يا أبا عمير، ما فعل النغير؟»^(١).

ومع الكبار كان للرسول ﷺ مواقف يروي أحدها أنس بن مالك رضي الله عنه فيقول: إن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهر بن حرام، قال: وكان النبي ﷺ يحبه وكان دميماً، فأتاه النبي ﷺ يوماً يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصر: فقال: أرسلني، من هذا؟ فالتفت فعرف النبي ﷺ فجعل لا يألو ما ألزق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه، وجعل النبي ﷺ يقول: «من يشتري العبد» فقال: يا رسول الله إذا والله تجدني كاسداً، فقال النبي: «لكن عند الله أنت غال»^(٢).

إنه حسن خلق من كريم سجاياه وشريف خصاله عليه الصلاة والسلام. ومع تبسط الرسول ﷺ مع أهله وقومه فإن لضحكه حدًا فلا تراه إلا مبتسماً كما قالت عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت رسول الله مستجمعاً قط ضاحكاً حتى ترى منه لهواته»^(٣)، وإنما كان يبتسم»^(٤).

ومع هذه البشاشة وطيب المعشر إلا أنه ﷺ يتمعر وجهه إذا انتهكت محارم الله قالت عائشة رضي الله عنها: قدم رسول الله ﷺ من سفر، وقد سترت سهوة لي بقرام فيه تماثيل، فلما رآه رسول الله ﷺ هتكه وتلون وجهه وقال: «يا عائشة: أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاؤون بخلق الله»^(٥).

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد.

(٣) اللهوات: جمع لهات: وهي اللحم التي في أقصى سقف الفم.

(٤) متفق عليه.

(٥) متفق عليه، والسهوة كالصفة بين يدي البيت، والقرام، ستر رقيق هتكه: أي أفسد

فدل هذا على تحريم اتخاذ الصور في البيت إذا كانت بارزة، وأشد منه تحريمًا الصور المعلقة في الجدار أو التماثيل المنصوبة في الأركان وعلى الأرفف والمناضيد، فإن ذلك مع الإثم المترتب عليه يحرم أهل البيت من دخول ملائكة الرحمة في ذلك البيت.

نوم النبي ﷺ

عن أبي بصير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه، فليأخذ داخله إزاره -أي طرفه- فلينفذ بها فراشه وليسم الله، فإنه لا يعلم ما خلفه بعده على فراشه، فإذا أراد أن يضطجع فليضطجع على شقه الأيمن، وليقل: سبحانك اللهم ربي بك وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفس فاغفر لها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»^(١).

وكان من توجيهه ﷺ لكل مسلم ومسلمة: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن»^(٢).

وعن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة، جمع كفيه فنفت فيهما، وقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْقَلْقِ﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ

الصورة التي فيه.

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

بهما رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يصنع ذلك ثلاث مرات»^(١).
 عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي»^(٢).
 وعن أبي قتادة: «إن النبي ﷺ كان إذا عرس^(٣) بليل اضطجع على شقه الأيمن، وإذا عرس قبيل الصبح نصب ذراعه ووضع رأسه على كفه»^(٤).
 ومع نعم الله ﷻ التي أغدقها علينا، تأمل أخي الحبيب في فراش سيد المرسلين وخاتم النبيين وأفضل الخلق أجمعين خير من وطأت قدمه الثرى.
 عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إنما كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه من آدم حشوه ليف»^(٥).

ودخل عليه نفر من أصحابه ودخل عمر، فانحرف رسول الله ﷺ فلم ير عمر بين جنبه وبين الشريط ثوبًا، وقد أثر الشريط بجنب رسول الله ﷺ فبكى عمر، فقال له النبي ﷺ: «ما يبكيك يا عمر»؟ قال: والله إلا أن أكون أعلم أنك أكرم على الله ﷻ من كسرى وقيصر، وهما يعبتان في الدنيا فيما يعبتان فيه، وأنت رسول الله بالمكان الذي أرى! فقال النبي ﷺ: «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة»؟ قال عمر: بلى، قال: «فإنه كذلك»^(٦).

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) التعريس: نزول المسافر آخر الليل للنوم والراحة.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه مسلم.

(٦) رواه الإمام أحمد.

قيام الليل

قد أقبل ليل المدينة وخيم بسواده عليها، لكن الرسول ﷺ أضاء جوانحه بالصلاة وذكر الله وقام ليله يتهدج ويناجي رب الأرض والسموات ويدعو من يده مقاليد الأمور استجابة لأمر خالقه وبارئه ﴿يَا أَيُّهَا الْمُرْمِلُ * فُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾. [المزمل: ١-٤].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقوم يصلي حتى تنتفخ قدماه، فيقال له: يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟»^(١).

وعن الأسود بن يزيد قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل فقالت: «كان ينام أول الليل ثم يقوم فإذا كان له حاجة ألم بأهله، فإذا سمع الأذان وثب، فإن كان جنباً أفاض عليه من الماء وإلا توضأ وخرج إلى الصلاة»^(٢).

وصلاة الرسول ﷺ بالليل فيها من العجب ما يجعلنا نتأمل في طولها ونتخذها قدوة وأسوة.

عن أبي عبد الله حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «صليت مع النبي ﷺ ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، ثم افتتح آل عمران فقرأها، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها،

(١) رواه ابن ماجه.

(٢) رواه البخاري.

يقراً مترسلاً^(١)، إذا مر بأية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ، ثم ركع فجعل يقول: سبحان ربي العظيم، فكان ركوعه نحوًا من قيامه، ثم قال: سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد، ثم قام طويلًا قريبًا مما ركع، ثم سجد فقال: سبحان ربي الأعلى، فكان سجوده قريبًا من قيامه^(٢).

بعد الفجر

بعد هدوء ليل المدينة ومع إشراقات الفجر حيث تم أداء صلاة الفجر مع الجماعة في المسجد كان عليه الصلاة والسلام يجلس بعد صلاة الفجر لذكر الله حتى تطلع الشمس ثم يصلي ركعتين، عن جابر بن سمرة رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ كان إذا صلى الفجر جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس حسنًا»^(٣).
وقد حث عليه الصلاة والسلام على الإتيان بهذه السنة العظيمة وذكر بما فيها من الأجر والثوبة.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام: «من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجة وعمره، تامة، تامة، تامة»^(٤).

(١) مترسلاً: أي بتبيين الحروف وأداء حقه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم، ومعنى حسنًا مرتفعة.

(٤) رواه الترمذي.

صلاة الضحى

قد انتصف النهار واشتدت حرارة الشمس، وأقبلت السموم الحارقة تلفح الوجوه، إنها فترة الضحى، وقت عمل وقضاء حوائج، ومع كثرة أعباء الرسالة ومقابلة الوفود، وتعليم الصحابة، وحقوق الأهل، فقد كان ﷺ يتعبد الله ﷻ. قالت معاذة: قلت لعائشة رضي عنها: أكان النبي ﷺ يصلي الضحى؟ قالت: «نعم أربع ركعات ويزيد ما شاء الله ﷻ»^(١).

وقد أوصى بها ﷺ فعن أبي هريرة رضي عنه قال: «أوصاني خليلي ﷺ بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أرقد»^(٢).

صلاة النوافل في البيت

هذا البيت العامر بالإيمان، المليء بالعبادة والذكر، يوصي النبي ﷺ أن يكون لبيوتنا مثل ذلك، فيقول ﷺ: «اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم ولا تتخذوها قبورًا»^(٣).

قال ابن القيم رحمته: وكان ﷺ يصلي عامة السنن والتطوع الذي لا سبب له

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه البخاري.

في بيته، لاسيما سنة المغرب فإنه لم ينقل عنه أنه فعلها في المسجد ألبتة، ولصلاة النوافل في البيت فوائد منها: اتباع سنة النبي ﷺ، وتعليم النساء والأطفال كيفية الصلاة، وطرد الشياطين منه بسبب الذكر والقراءة وأدعى للإخلاص والبعد عن الرياء.

بكاء النبي ﷺ

كثير من الرجال والنساء يبكون لكن يا ترى كيف يكون البكاء ولمن يكون؟! نبينا عليه الصلاة والسلام كان يبكي مع أن الدنيا في يده لو أرادها، والجنة أمامه وهو في أعلى منازلها، نعم كان يبكي عليه الصلاة والسلام ولكنه بكاء العباد، كان يبكي وهو يناجي ربه في الصلاة وعند سماع القرآن وما ذاك إلا من رقة القلب وصلح السريرة، ومعرفة عظمة الله ﷻ وخشية منه سبحانه.

عن مطرف - وهو ابن عبد الله بن الشخير - عن أبيه قال: «أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء»^(١).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ علي» فقلت: يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «إني أحب أن أسمعه من غيري» فقرأت سورة النساء حتى بلغت ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ قال: «فرايت عيني رسول الله تهملان»^(٢).

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه البخاري.

بل تأمل في شعرات بيض تعلقو مفرق رسول الله وما يقارب من ثمانية عشر شبيبة في لحيته الشريفة، وارع قلبك لتسمع من لسانه الشريف سبب تلك الشعيرات البيض: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله قد شبت! قال ﷺ: «شيبتي هود والواقعة والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت»^(١).

تواضعه ﷺ

كان عليه الصلاة والسلام أحسن الناس خلقًا وأكملهم قدرًا فخلقه القرآن كما قالت عائشة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن»^(٢) ولقد قال عليه الصلاة والسلام: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(٣).

ومن تواضعه عليه الصلاة والسلام عدم محبته للمدح والثناء والإطراء. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»^(٤).

وعن أنس رضي الله عنه: أن ناسًا قالوا: يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال: «يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلي الله ﷻ»^(٥).

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد.

(٤) رواه أبو داود.

(٥) رواه النسائي.

وبعض الناس يطري النبي ﷺ غاية الإطراء فيعتقد أنه يعلم الغيب أو أن بيده الضر والنفع ويجيب الحوائج ويشفي المرضى، والله ﷻ نفى ذلك كله فقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾.

وهذا النبي المرسل خير من أقلته الغبراء وأظلمته الخضراء، دائم الإخبات والإنابة إلى ربه، لا يحب الكبر، بل هو رأس المتواضعين وسيد المنكسرين لربه.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: «لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ج قال: وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهته لذلك»^(١).

وألق بطرفك لنبي الأمة عليه الصلاة والسلام في تواضع عجيب وحسن خلق نادر يتواضع فيه للمرأة المسكينة ويمنحها من وقته المليء بالأعمال. عن أنس بن مالك ﷺ قال: إن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت له: إن لي إليك حاجة، فقال: «اجلسي في أي طريق المدينة شئت أجلس إليك»^(٢).

يروح بأرواح المحامد حسنها

فيرقى بها في ساميات المفاخر

وإن فض في الأكوان مسك ختامها

تعطر منها كل نجد وغائر

وكان ﷺ رأس أهل التواضع وعلمهم، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ

قال: «لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت، ولو أهدني إلى ذراع أو كراع

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه أبو داود.

لقبلت»^(١).

وللمتكبرين في كل عصر وحين يبقى حديث الرسول ﷺ حاجزًا لهم وراذعًا لكبرهم واستعلائهم.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»^(٢).

والكبر طريق إلى النار والعياذ بالله، حتى وإن كان مثقال ذرة، وتأمل في عقوبة متكبر يختال في مشيته، كيف سخط الله سخطك عليه وأنزل به غضبه وأليم عقابه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه، مرجل رأسه^(٣) يختال في مشيته، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل^(٤) في الأرض إلى يوم القيامة»^(٥).

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) مرجل رأسه: أي ممشطه.

(٤) يتجلجل: أي يغوص وينزل.

(٥) متفق عليه.

خادمه ﷺ

هذا الخادم المسكين الضعيف أنزله الرسول ﷺ منزلة تليق به، قياساً على دينه وتقواه لا على عمله وضعفه قال النبي ﷺ والصلاة عن الخدم والأجراء: «هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم»^(١).

ثم تأمل في خادم يروي عن سيده كلاماً عجيباً وشهادة مقبولة وثناء عطرًا وهل رأيت خادمًا يثني على سيده مثل ما قال خادم رسول الله ﷺ.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: خدمت رسول الله ﷺ.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط، وما قال لي لشيء صنعته [لم صنعته؟] ولا لشيء تركته لم تركته؟»^(٢).

عشر سنوات كاملة ليست أيامًا أو شهرًا إنه عمر طويل فيه الفرح والترح، والحزن والغضب وتقلبات النفس واضطرابها وفقرها وغناها، ومع هذا فلم ينهره ولم يأمره - بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام- بل ويكافئه ويطيب خاطر خادمه ويلبي حاجته وحاجة أهله ويدعو لهم.

قال أنس ﷺ: قالت أمي: يا رسول الله خادمك ادع الله له، قال: «اللَّهُمَّ

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته»^(١).

ومع شجاعته عليه الصلاة والسلام فإنه لم يهن ولم يضرب إلا في حق، ولم يقس على الضعفاء الذين تحت يده من زوجة وخدام.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا ضرب خادماً ولا امرأة»^(٢).

بل ما هي أم المؤمنين رضي الله عنها تكرر الشهادة لخير الخلق وصفوة الناس أجمعين وقد سارت الركبان بالحديث عن حسن سيرته ونبل معشره حتى شهد له كفار قريش.

تقول رضي الله عنها: «ما رأيت رسول الله ﷺ منتصراً من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله تعالى شيء، فإذا انتهك من محارم الله تعالى شيء، كان من أشدهم في ذلك غضباً، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن مأثماً»^(٣).

وكان رضي الله عنه ينادي بالرفق والأناة قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»^(٤).

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

(٤) متفق عليه.

الهدية والضيف

في حياة البشر حاجات عاطفية ودخائل نفسية تظهر الحاجة إليها دومًا في المجتمع والأسرة والبيت، ومن الأمور التي تقرب القلوب وتذيب إحن النفوس الهدية، عن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان يقبل الهدية ويثيب عليها»^(١) وهذا الإهداء والشكر من كرم النفوس وصفاء الصدور.

وخلق الكرم من أخلاق الأنبياء وسنن المرسلين، ولرسولنا ﷺ قصب السبق والقدح المعلى في ذلك أليس هو القائل: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام فما بعد ذلك فهو صدقة ولا يجلب له أن يثوي عنده حتى يجرجه؟»^(٢).

ووالله لم تشهد الغبراء ولا وهادها ولم ير الحجاز ولا الجزيرة، بل ولا الخافقين أنبل أخلاقًا وأكرم صفاتٍ منه ﷺ كحل عينيك -أيها القارئ- لترى موقفًا من مواقفه العظيمة بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام!!

عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن امرأة جاءت إلى رسول الله ببرد منسوجة فقالت: نسجتها بيدي لأكسوكها، فأخذها النبي ﷺ محتاجًا إليها، فخرج إلينا وإنها لإزاره فقال فلان: أكسنيها ما أحسنها فقال: «نعم» فجلس النبي ﷺ في المجلس، ثم رجع فطواها، ثم أرسل بها إليه فقال له القوم: ما أحسنت، لبسها النبي ﷺ محتاجًا إليها، ثم سألته، وعلمت أنه لا يرد سائلاً، فقال: إني والله ما

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

سألته لألبسها، إنما سألته لتكون كفي قال سهل: فكانت كفته»^(١).
 ولا تعجب من خلق من اصطفاه الله ﷻ ورباه على عينه وجعله القدوة،
 رسول الله ﷺ يضرب أروع الأمثلة في السخاء والجود، عن حكيم بن حزام ﷺ
 قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم
 قال: «يا حكيم، إن هذا المال خضر حلو، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له
 فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع
 واليد العليا خير من اليد السفلى»^(٢).

وصدق الشاعر:

وله	كمال	الدين	أعلى	هممة
لما	أضياء	على	البرية	زاتها
فوجدت	كل	الصيد	في	جوف
ولقيت	كل	الناس	في	إنسان
وإذا	هو	الثقلان		
وعلما	بها	فإذا	هو	الثقلان
وعلما	بها	فإذا	هو	الثقلان

عن جابر ﷺ قال: ما سئل النبي ﷺ عن شيء قط فقال، لا^(٣).
 ومع هذا العطاء والسخاء في اليد إلا أن سخاءه منقطع النظير في الجود
 والبذل وطيب النفس وحسن المعاشرة وصدق المحبة.

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه البخاري ٦٠٣٤.

كان من عاداته أن يبش (يبتسم) إلى كل من يجلس إليه، حتى يظن أنه أحب أصحابه إلى قلبه.

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «ما حجني رسول الله ﷺ ولا رأني منذ أسلمت إلا تبسم»^(١).

ولك في وصف شاهد كفاية وعبر.

وعن عبد الله بن الحارث قال: «مارأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ»^(٢).

ولماذا تعجب أيها الحبيب وهو القائل عليه الصلاة والسلام: «وتبسمك في وجه أخيك صدقة»^(٣).

أما خادم رسول الله ﷺ أنس رضي الله عنه فقد وصف رسول الله ﷺ بصفات عظيمة قل أن تجد بعضها في رجل أو أن تجتمع في أناس، كان رسول الله ﷺ أشد الناس لطفًا فما سأله سائل قط إلا أصغى إليه فلا ينصرف رسول الله ﷺ حتى يكون السائل هو الذي ينصرف وما تناول أحد يده قط إلا ناوله إياها فلا ينزع يده حتى يكون الرجل هو الذي ينزعها منها»^(٤).

مع إكرامه ﷺ لضيفه والتلطف معه إلا أنه كان رءوفًا بأمته، ولذا فهو ينكر المنكر ولا يقبله عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) رواه أبو نعيم في الدلائل.

يد رجل فنزعه فطرحة، وقال: «يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده»^(١).

الرحمة بالأطفال

أهل القلوب القاسية لا يعرف الرحمة وليس للعاطفة في صدورهم مكان إنهم كالحجارة الصماء، جفاف في العطاء والأخذ، وبخل بأرق المشاعر والعيوف الإنسانية أما من منحه الله ﷻ قلبًا رقيقًا وحنانًا دافقًا فهو صاحب القلب المثالي الحنون، تكسوه الرحمة وتحركه العاطفة.

عن أنس ﷺ: «أن النبي ﷺ أخذ ولده إبراهيم فقبله وشمه»^(٢).

وهذه الرحمة ليست خاصة لأقاربه فحسب بل عامة لأبناء المسلمين، قالت أسماء بنت عميس زوجة جعفر ﷺ: دخل علي رسول الله ﷺ فدعا بني جعفر فرأيت شمهم، وذرفت عيناه، فقلت: يا رسول الله، أبلغك عن جعفر شيء؟ قال: «نعم، قتل اليوم» فقمنا نبكي ورجع فقال: «اصنعوا لآل جعفر طعامًا فإنه قد جاء ما يشغلهم»^(٣).

ولما كانت عيناه ﷺ تفيض لموتهم سأله سعد بن عبادة ﷺ: يا رسول الله ما هذا؟ فيقول ﷺ: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) أخرجه ابن سعد، والترمذي وابن ماجه.

عبادة الرحماء»^(١).

وعندما ذرفت عيناه ﷺ لوفاة ابنه إبراهيم قال له عبد الرحمن بن عوف ؓ: «وأنت يا رسول الله؟» فقال: «يا ابن عوف، إنها رحمة ثم أتبعها بأخرى» وقال: إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون»^(٢).

وخلق الرسول العظيم مدعاة إلى الأخذ به والسير على خطاه فنحن في زمن فقدنا فيه الإحساس بمحبة الصغار وإنزالهم منزلتهم فهم الآباء غدا وهم رجال الأمة وفجرها المنتظر بلغ بنا الجهل والكبر وقلة الرأي وقصر النظر إلى أن تركنا مفتاح القلوب مغلقاً ومضيقاً مع الأطفال والناشئة، أما الرسول ﷺ فإن المفتاح بيده وعلى لسانه، هاهو يجعل الصبي يحبه ويجعله ويقدره وهو ﷺ ينزل الناشئ منزلة رفيعة.

كان أنس ؓ إذا مر على صبيان سلم عليهم وقال: «كان النبي ﷺ يفعل»^(٣).

وكما أن للأطفال مشقتهم وتعبهم وكثرة حركتهم إلا أن رسول الله ﷺ لا يغضب ولا ينهر الصغير ولا يعاتبه، كان يأخذ ﷺ بمجامع الرفق وبخطام وزمام السكينة.

عن عائشة ؓ: قالت: «كان النبي ﷺ يؤتى بالصبيان فيدعو لهم فأتي

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) متفق عليه.

بصبي فبال على ثوبه فدعا بماء فأتبعه إياه ولم يغسله»^(١).

أما خطر في بالك أيها القارئ وأنت تتشرف بالجلوس في بيت النبوة أن تداعب صغارك وتمزح أبناءك وتسمع ضحكاتهم وجميل عباراتهم؟ كان نبي الأمة يفعل ذلك كله بأبي هو وأمي ﷺ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ ليدلع لسانه للحسن بن علي، فيرى الصبي حمرة لسانه، فيهش له»^(٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يلاعب زينب بنت أم سلمة، وهو يقول: يا زوينب، يا زوينب، مراراً»^(٣).

ورحمته تظال الصغار حتى وهو في عبادة عظيمة «فقد كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ لأبي العاص بن الربيع، فإذا قام حملها، وإذا سجد وضعها»^(٤).

وعن محمود بن الربيع رضي الله عنه قال: «عقلت من رسول الله ﷺ حجة مجها في وجهي من دلو، من بئر كانت في دارنا، وأنا ابن خمس سنين»^(٥).

وهو عليه الصلاة والسلام يعلم الكبير والصغير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله

(١) رواه البخاري.

(٢) السلسلة الصحيحة رقم ٧٠.

(٣) الأحاديث الصحيحة ٢١٤١، صحيح الجامع ٥٠٢٥.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»^(١).

بعد أن عشنا مع بعض شمائله الكريمة وسيرته العطرة لعلنا نحبي بها القلوب ونقتفي خلفها الأثر في مسيرة الحياة، فبيوتنا تزهر بالصغار، والأطفال الذين يحتاجون إلى حنان الأبوة وعاطفة الأمومة وإدخال السرور على قلوبهم الصغيرة، فينشأ سوي العاطفة سوي الخلق يقود الأمة رجالاً صنعهم الرجال والأمهات بعد توفيق الله ﷻ.

الحلم والرفق والصبر

البطش وأخذ الحقوق قهراً وجبراً من سمات الظلمة وأهل الجور ونبينا عليه أفضل الصلاة والسلام أرسى قواعد العدل والنصرة لكل صاحب حق حتى ينال حقه ويأخذه، وقد سير ﷺ ما منحه الله ﷻ من أمر ونهي للخير وفي سبيل الخير، فنحن لا نخشى في بيته ﷺ مظلمة ولا بطشاً، ولا تعدياً ولا هُباً. عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى»^(٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه أحمد.

الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: «يا مُحَمَّد، مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه، فضحك ثم أمر له بعطاء»^(١).

ولما قفل رسول ﷺ من غزوة حنين تبعه الأعراب يسألونه فالجئوه إلى شجرة فخطفت رداءه، وهو على راحلته، فقال: «ردوا علي ردائي، أتخشون علي البخل؟ فقال: فوالله لو كان لي عدد هذه العضاة^(٢) نعمًا لقسمته بينكم، ثم لا تجدونني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً»^(٣).

ومن أنصع صور التربية وجميل التعليم، الرفق في جميع الأمور ومعرفة المصالح ودرء المفاسد.

أخذت الغيرة الصحابة وهم يرون من يخطئ وتزل قدمه وسارعوا إلى الإنكار وحق لهم ذلك، ولكن الحلیم الرفیق ﷺ منعهم من ذلك لجهل الفاعل وللضرر المترتب فكان الأولى ما فعله الرسول ﷺ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أعرابي في المسجد فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبي ﷺ: «دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من ماء، أو ذنوباً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين»^(٤).

وصبر الرسول على أمر الدعوة مدعاة إلى التأسي به والسير على نهجه،

(١) متفق عليه.

(٢) العض: الشجر الغليظ يبقى في الأرض.

(٣) رواه البغوي في شرح السنة وصححه الألباني.

(٤) رواه البخاري.

وعدم الانتصار للنفس، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلنتني فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك وقد بعثت إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين»^(١). فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»^(٢).

وبعض النفوس اليوم تتعجل أمر الدعوة وتأمل في حصد النتائج سريعاً، والانتصار للنفس قدحاً في الدعوة وإخلاصها ولهذا فشلت بعض الدعوات لفسو هذا الأمر بين أفرادها فأين الصبر والتحمل؟!

وبعد سنوات طويلة وقع ما أمله الرسول ﷺ بعد معاناة وصبر وطول جهاد.

وكيف يسامى خير من وطيء الثرى

وفي كل باع عن علاه قصور

(١) الأخشبان: الجبلان المحيطان بمكة والأخشب: الجبل الغليظ.

(٢) متفق عليه.

وكل شريف عنده متواضع

وكل عظيم القريتين حقير

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه، ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللَّهُمَّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»^(١).

وذات يوم جاء إلى رسول الله ﷺ وهو في جنازة مع أصحابه يهودي اسمه زيد بن سعة، يتقاضاه ديناً، فأخذ بمجامع قميصه وردائه، ونظر إليه بوجه غليظ، وقال: يا مُحَمَّدُ ألا تقضي حقي؟ وأغلظ في القوم، فغضب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ونظر إلى زيد وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير ثم قال: يا عدو الله، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع، وتفعل ما أرى؟! فوالذي بعثه بالحق لو لا ما أحاذر من لومه لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة ثم قال: «يا عمر، أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التباعة، اذهب به يا عمر فأعطه حقه، وزده عشرين صاعاً من تمر».

يقول زيد اليهودي لما زاده عمر عشرين صاعاً من تمر قال: ما هذه الزيادة يا عمر؟ قال عمر: أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان نعمتك قال زيد: أتعرفني يا عمر؟ قال: لا من أنت؟ قال: زيد بن سعة.

قال: الخبر؟" قلت: الخبر، قال: فما دعائك أن فعلت برسول الله ﷺ ما فعلت، وقلت له ما قلت؟ قال زيد: يا عمر لم يكن له من علامات النبوة

(١) متفق عليه.

شيء إلا وقد عرفته في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنين لم أخبرهما منه: هل يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا فقد اخترتهما، فأشهدك يا عمر أي قد رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبياً وأشهدك أن شطر مالي صدقة على أمة محمد ﷺ فقال عمر رضي الله عنه أو على بعضهم فإنك لا تسعهم، قال زيد: أو على بعضهم فرجع زيد اليهودي إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وآمن به وصدقه^(١).

ونحن نتأمل الموقف ونهايته والحوار الطويل فيه لعل لنا نصيباً من التأسي بقدوتنا محمد عليه الصلاة والسلام، والصبر على الناس ودعوتهم برفق وحلم. وتشجيعهم إذا أحسنوا وبث روح التفاؤل في نفوسهم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «اعتمرت مع النبي ﷺ من المدينة حتى إذا قدمت مكة، قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله قصرت وأتممت، وأفطرت وصمت، قال: «أحسنت يا عائشة» وما عاب علي»^(٢)

(١) أخرجه النسائي في مستدركه وصححه.

(٢) رواه النسائي.

طعامه ﷺ

الموائد والجفان تروح وتغدو في بيوت علية القوم وأهل الأمر والنهي فيها.. ونبي هذه الأمة تحت يده، البلاد والعباد وترد إليه الإبل محملة بالأرزاق ويفيض بين يديه الذهب والفضة، يا تركيب مطعمه ومشربه، أعيشة الملوك أم أرفع وأعظم؟ أطعام الأغنياء والموسرين أم أكمل وأتم؟ لا تعجب وأنت تتأمل طعام الرسول ﷺ وقلته وتقشفه يحدثنا أنس ﷺ حيث قال: « إن النبي ﷺ لم يجتمع عنده غداء ولا عشاء من خبز ولحم إلا على ضفف»^(١).

والضفف: قلة المأكول وكثرة الأكلة، والمعنى أنه لم يشبع إلا بضيق وشدة، أو ما شبع في زمن من الأزمان إلا إذا نزل به الضيوف، فيشبع حينئذ لضرورة الإيناس والمجاهرة.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما شبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ»^(٢).

وفي رواية: «ما شبع آل محمد منذ قام المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعاً حتى قبض»^(٣).

بل كان عليه الصلاة والسلام لا يجد ما يأكل وينام طاوياً لا يدخل جوفه

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

للقمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: « كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً هو وأهله، لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير»^(١).

وليس الأمر من قلة وندرة، بل كانت تفيض الأموال من تحت يده وتغد إليه النجائب محملة، ولكنه الله ﷻ اختار لنبيه ﷺ الحال الأكمل والأقوم.

قال عقبه بن الحارث رضي الله عنه: صلى بنا النبي ﷺ العصر فأسرع ثم دخل البيت فلم يلبث أن خرج فقلت أو قيل له فقال: «كنت خلفت في البيت تبراً -أي ذهباً- من الصدقة فكرهت أن أبيته فقسمته»^(٢).

والسخاء العجيب والعطاء المنقطع النظير هو ما يخرج من يد نبي هذه الأمة، عن أنس رضي الله عنه قال: ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل، فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: «يا قوم أسلموا، فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر»^(٣).

ومع هذا العطاء والسخاء، تأمل حال نبي هذه الأمة عن أنس رضي الله عنه قال: «لم يأكل النبي ﷺ على خوان حتى مات، وما أكل خبزاً مرققاً حتى مات»^(٤).

وذكرت عائشة رضي الله عنها أنه كان يأتيها فيقول: «أعندك غداء؟» فتقول: لا، فيقول: «إني صائم»^(٥).

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه مسلم.

وثبت عنه ﷺ أنه كان يقيم الشهر والشهرين، لا يعيشه هو وآل بيته إلا الأ سودان: التمر والماء^(١).

ومع هذه القلة في الطعام والندرة في المأكولات فإن خلقه الرفيع وأدبه الإسلامي يدعوه إلى شكر نعمة الله ثم شكر من أعدها وعدم تعنيفه إن أخطأ، فقد اجتهد ولم يصب، ولهذا كان عليه الصلاة والسلام لا يعيب طعامًا ولا يلوم طابغًا ولا يرد موجودًا ولا يطلب مفقودًا، إنه نبي الأمة لم يكن همه بطنه ومأكله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما عاب رسول الله ﷺ طعامًا قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه»^(٢).

وللأحبة الكرام من تأخذهم المأكول والمشرب أسوق قول شيخ الإسلام ابن تيمية مختصرًا:

وأما الأكل واللباس: فخير الهدي هدى محمد ﷺ وكن خلقه في الأكل أن يأكل ما تيسر إذا اشتهاه، ولا يرد موجودًا، ولا يتكلف مفقودًا، فكان إذا حضر خبز ولحم أكله، وإن حضر فاكهة وخبز ولحم أكله، وإن حضر تمر وحده أو خبز وحده أكله، ولم يكن إذا حضر لوانان من الطعام يقول: لا آكل لونين، ولا يمتنع من طعام لما فيه من اللذة والحلاوة، وفي الحديث ﷺ: «لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء وأكل اللحم فمن رغب عن سنتي

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) متفق عليه.

فليس مني».

وأمر الله ﷻ بأكل الطيبات والشكر لله فمن حرم الطيبات كان معتدياً، ومن لم يشكر كان مفرطاً مضيعاً لحق الله، وطريق رسول الله ﷺ هي أعدل الطرق وأقومها والانحراف عنها إلى وجهين: قوم يسرفون فيتناولون الشهوات مع إعراضهم عن القيام بالواجبات، وقوم يحرمون الطيبات ويبتدعون رهبانية لم يشرعها الله تعالى، ولا رهبانية في الإسلام.

ثم قال ﷺ: وكل حلال طيب، وكل طيب حلال فإن الله ﷻ أحل لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث، لكن جهة طيبه كونه نافعاً لذيداً، والله حرم علينا كل ما يضرنا، وأباح لنا كل ما ينفعنا.

ثم قال ﷺ: والناس تتنوع أحوالهم في الطعام واللباس والجوع والشبع، والشخص الواحد يتنوع حاله، ولكن خير الأعمال ما كان لله أطوع، ولصاحبه أنفع^(١).

(١) مجموع الفتاوى ٣١٠/٢٢ باختصار.

الذب عن أعراض الآخرين

أكرم المجالس مجالس العلم والذكر، فما بالك إذا توسط صفوة ولد آدم ومعلم الأمة بحديثه وتعليمه وتوجيهه؟ كان من صفاء مجلسه ونقاء سريره عليه الصلاة والسلام أن يرد المخطئ ويعلم الجاهل وينبه الغافل ولا يقبل في مجلسه إلا كل خير، وإن كان ﷺ مستمعًا منصفًا لمحدثه إلا أنه لا يقبل غيبة ولا يرضى بنميمة ولا بهتان ولذا فهو يرد عن أعراض الآخرين.

عن عتبان بن مالك رضي الله عنه قال: قام النبي ﷺ يصلي فقال: «أين مالك بن الدخشم؟» فقال رجل: ذلك منافق لا يحب الله ولا رسوله، فقال النبي ﷺ: «لا تفعل ذلك، ألا تراه قد قال لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله، وإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»^(١).

وكان ﷺ يحذر من شهادة الزور واقتطاع الحقوق، عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين» وكان متكفًا فجلس فقال: «ألا وقول الزور» فما زال يكررها حتى قلنا: ليتها سكت»^(٢).

ومع محبته لأهم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلا أنه أنكر عليها الغيبة، وأوضح لها عظم خطرها.

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي ﷺ حسبك من صفة كذا وكذا، قال بعض الرواة: تعني قصرها، فقالت: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته»^(١).

وقد بشر النبي ﷺ من يذب عن أعراض إخوانه فقال ﷺ: «من ذب عن عرض أخيه بالغيبة كان حقاً على الله أن يعتقه من النار»^(٢).

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه أحمد.

كثرة ذكر الله تعالى

للمربي الأول نبي هذه الأمة شأن عظيم مع العبادة ومواصلة القلب بالله ﷻ، فهو لا يدع وقتاً يمر دون ذكر لله ﷻ وحمده وشكره والاستغفار والإنابة، ومع أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فهو العبد الشكور والنبي الشاكر والرسول الحامد، عرف قدر ربه فحمده ودعاه وأتاب إليه وعلم قيمة زمنه فاستفاد منه وحرص أن يكون عامراً بالطاعة والعبادة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه»^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم»^(٢).

قال أبو هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»^(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة «رب اغفر لي، وتب علي إنك أنت التواب الرحيم»^(٤).

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه الترمذي.

وتقول أم المؤمنين أم سلمة عن أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندها:
«يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»^(١).

الجار

أكرم به جوار رسول الله ﷺ فقد كان الجار له منزلة عظيمة في نفس الرسول عليه الصلاة والسلام، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»^(٢).

وأوصى ﷺ أبا ذر رضى الله عنه بقوله: «يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك»^(٣).

وحذر من أذية الجار فقال عليه الصلاة والسلام: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»^(٤).

وهنيئًا لجار قال عنه النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليحسن إلى جاره»^(٥).

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه البخاري، ومسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم، البوائق: الغوائل والشُرور.

(٥) رواه مسلم.

حسن المعاشرة

عن عائشة رضي عنها قالت: «كان النبي ﷺ إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل: ما بال فلان يقول؟ ولكن يقول: ما بال أقوام كذا وكذا؟»^(١).

وعن أنس بن مالك رضي عنه أن رجلاً دخل على رسول الله ﷺ وعليه أثر صفرة، وكان رسول الله ﷺ قل ما يواجه رجلاً في وجهه شيء يكرهه، فلما خرج قال: «لو أمرتم هذا أن يغسل ذا عنه»^(٢).

عن ابن مسعود رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بمن يحرم على النار، أو بمن تحرم عليه النار؟ ترحم على كل قريب هين لين سهل»^(٣).

أداء الحقوق

الحقوق على الإنسان كثيرة، فهذا حق لله وآخر للأهل وثالث للنفس وهناك حقوق للعباد فكيف يا ترى قسم الرسول ﷺ وقته واستفاد من يومه؟ عن أنس رضي عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت النبي ﷺ يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوها، وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ وقد غفر له ما تقدم

(١) أخرجه الترمذي.

(٢) أخرجه أبو داود وأحمد.

(٣) رواه الترمذي.

من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأنقاكم له لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(١).

شجاعته وصبره ﷺ

لرسول الله ﷺ السهم الوافر والقدح المعلى في الشجاعة نصره لهذا الدين وإعلاء لكلمة الله ﷻ، وجعل ما أنعم الله عليه من نعم في مكانها الصحيح فهذه عائشة رضي الله عنها تقول: «ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا ضرب خادماً ولا امرأة»^(٢).

ومن شجاعته ﷺ وقوفه وحيداً يدعو لهذا الدين أمام كفار قريش وصناديدها وثباته على هذا الدين حتى نصره الله ولم يقل ليس معي أحد، والقوم كلهم ضدي، بل اعتمد على الله ﷻ واتكل عليه وصدع بأمر الدعوة، وكان ﷺ أشجع الناس وأمضاهم عزماً وإقداماً، كان الناس يفرون وهو ثابت. كان النبي ﷺ يتعبد في غار حراء ولم ينله أذى ولم تحاربه قريش ولم ترم أمم الكفر بسهم واحد من كنانتها إلا عندما صدع رسول الله ﷺ بأمر التوحيد ووجوب إفراد العبادة لله ﷻ وتعجب الكفار بقولهم: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

وَاحِدًا ﴿ فَمَنْ يَتَّخِذُونَ الْأَوْثَانَ وَسَائِطَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ عِزًّا كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ وَإِلَّا فَهُمْ مَقْرُونٌ بِتَوْحِيدِ الرَّبُّوبِيَّةِ ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾.

وتأمل أخي المسلم في الشرك الذي عم وطم في بلاد المسلمين من دعاء الأموات والتوسل بهم والنذر لهم والخوف والرجاء حتى تقطعت حبالهم مع الله ﷻ بسبب شركهم وإنزال الأموات منزلة الحي الذي لا يموت ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ﴾.

ونزل من بيته إلى الجبل المقابل من الجهة الشمالية: إنه جبل أحد حيث الموقعة العظيمة التي تبدت فيها شجاعة الرسول ﷺ وثباته وصبره على الجراح التي أصابته في تلك الموقعة العظيمة حيث أدمي وجهه الشريف وكسرت ربايعيته وشج رأسه عليه الصلاة والسلام.

يحدثنا سهل بن سعد رضي الله عنه عن جرح رسول الله ﷺ فيقول: «أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ، ومن كان يسكب الماء وبما دووي، قال: كانت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ تغسله وعلي بن أبي طالب يسكب الماء بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعاً من حصير وأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم وكسرت ربايعيته وجرح وجهه وكسرت البيضة على رأسه»^(١).

والعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه يقول عن رسول الله ﷺ في معركة حنين: لما

انطلق المسلمون مدبرين طفق رسول الله ﷺ يركض بقلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة ألا تسرع، وكان يقول حينئذ: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»^(١).

أما الفارس الشجاع صاحب المواقف المشهورة والوقائع المعروفة علي بن أبي طالب ؑ فهو يقول عن رسول الله ﷺ: «كنا إذا احمر البأس، ولقي القوم القوم، اتقيننا برسول الله ﷺ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه»^(٢).

ولصبر الرسول ﷺ في أمر الدعوة مضرب المثل والقذوة الحسنة، حتى أقام الله ﷻ صروح هذا الدين وطفقت خيله تجول الجزيرة وبلاد الشام وما وراء النهر، وحتى لا يدع بيت مدر ولا وبر إلا دخله.

قال رسول الله ﷺ: «لقد أخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليل وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يوارى إبط بلال»^(٣).

ورغم ما ورد إليه من الأموال والغنائم وما فتح الله على يديه فإنه ﷺ لم يورث دينارًا ولا درهمًا إنما ورث هذا العلم وهو ميراث النبوة فمن شاء أن يأخذ من هذا الميراث فليقدم وليهنا به من ميراث.

عن عائشة ؓ قالت: «ما ترك رسول الله ﷺ دينارًا ولا درهمًا، ولا شاة،

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البغوي في شرح السنة، وانظر صحيح مسلم ١٤٠١/٣.

(٣) رواه الترمذي وأحمد.

ولا بعيراً، ولا أوصى بشيء»^(١).

دعاؤه ﷺ

الدعاء عبادة عظيمة لا يجوز صرفها لغير الله ﷻ، والدعاء إظهار الافتقار إلى الله والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله ﷻ، وإضافة الجود والكرم إليه ولذلك قال الرسول ﷺ: «الدعاء هو العبادة»^(١).

وكان عليه الصلاة والسلام كثير الدعاء والتضرع وإظهار الافتقار إلى الله ﷻ يستحب جوامع الكلم والدعاء.

وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام: «اللَّهُمَّ أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمر، وأصلح لي دنيائي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليه معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر»^(٢).

ومن دعائه عليه الصلاة والسلام: «اللَّهُمَّ عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض، رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسي سوءًا أو أجره إلى مسلم»^(٣).

وأيضًا من دعائه ﷺ: «اللَّهُمَّ اكفني بجلالك عن حرامك وأغنني بفضلك

(١) رواه الترمذي

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أبو داود.

«عن سواك» (١).

ومن دعائه لربه ﷻ: «اللَّهُمَّ اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى» (٢).
 وكان عليه الصلاة والسلام يدعو ربه كثيراً في الرخاء والشدة وقد سقط
 رداءه من على منكبيه وهو يدعو يوم بدر بالنصر للمسلمين والهزيمة
 للمشركين، وكان عليه الصلاة والسلام يدعو لنفسه ولأهل بيته ولأصحابه
 ولعامة المسلمين.

نهاية الزيارة

بعد أن تعطرت الأسماع بذكر أحاديث الرسول ﷺ وحسن سيرته وجهاده
 وبلائته، فإن للنبي الكريم ﷺ حقاً يجب أن تؤدي له حتى نكون أتمنا الخير
 وأخذنا الطريق السوي، ومن حقوقه على أمته: .
 الإيمان الصادق به قولاً وفعلاً وتصديقه في كل ما جاء به ﷺ ووجوب
 طاعته والحذر من معصيته ﷺ، ووجوب التحاكم إليه والرضى بحكمه، وإنزاله
 منزلته ﷺ بلا غلو ولا تقصير، واتباعه واتخاذة قدوة وأسوة في جميع الأمور،
 ومحبة أكثر من الناس والأهل والمال والولد والناس جميعاً، واحترامه وتوقيره
 ونصرة دينه والذب عن سنته ﷺ وإحيائها بين المسلمين ومحبة أصحابه الكرام
 والترضي عنهم والذب عنهم وقراءة سيرتهم، ومن محبته ﷺ الصلاة عليه، قال

(١) رواه الترمذي.

(٢) متفق عليه.

الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ لقوله ﷺ: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه: خلق آدم، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي» فقال رجل: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ يعني بليت، قال: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»^(١).

وعلى أمة محمد ﷺ أن لا تكون بخيلة في حق هذا النبي الكريم فقد قال عليه الصلاة والسلام: «البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي»^(٢).
وقال عليه الصلاة والسلام: «ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليه ترة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم»^(٣).

(١) أخرجه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه الترمذي.

الوداع

ونحن نغادر هذا البيت العامر بالإيمان القائم على الطاعة، تبقى لنا سنة رسول الله ﷺ معلماً لمن أراد النجاة وطريقاً لمن أراد الهداية، ولنا وقفات مع علماء السلف وحرصهم على الاتباع لهذه السنة العظيمة، لعل الله أن يرزقنا حسن التأسي وجميل الاقتداء.

قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمته: ما كتبت حديثاً إلا وقد عملت به، حتى مر بي أن النبي ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة ديناراً، فأعطيت الحجام ديناراً حين احتجمت^(١).

وقال عبد الرحمن بن مهدي: سمعت سفيان يقول: ما بلغني عن رسول الله ﷺ حديث قط إلا عملت به ولو مرة.

وعن مسلم بن يسار قال: إني لأصلي في نعلي وخلعهما أهون علي، وما أطلب بذلك إلا السنة^(٢).

وللأخ الحبيب في الختام حديث عظيم، قال رحمته: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي» قالوا: يا رسول الله، ومن أبي؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبي»^(٣).

(١) السير ١١/٢١٣.

(٢) السير ٧/٢٤٢، كتاب الزهد للإمام أحمد ص ٣٥٥.

(٣) رواه البخاري.

اللهم ارزقنا حب نبيك ﷺ وموافقته على الطريق المستقيم، لا ضالين ولا
مضلين اللهم صل على محمد ما تعاقب الليل والنهار، اللهم صل على محمد ما
ذكره الذاكرون الأبرار، اللهم اجمعنا مع نبينا محمد ﷺ في الفردوس الأعلى وأقر
أعيننا برؤيته والشرب من حوضه شربة لا نظماً بعدها أبداً، وصلى الله على
نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.